وقال دعوني حتى اوصي وصية فاني لا ايقن بعدها بحياة ثم تقدم الى بعض الدكاكين فاستفتح
وقال بسم الله واخذ ورقة وكتب فيها وسلمها الى غلامه ثم سرنا به فلما مثل بين يدي امير المؤمنين
زجره وقال له من انت وبما استوجبت البرامكة منك ما تفعله في خراب دورهم قال الخادم
ونحن وقوف نسمع فقال يا امير المؤمنين ان للبرامكة عندي يدا خضرة أفتأذن لي ان احدثك
بحالي معهم قال قل قال يا امير المؤمنين انا المنذر بن المغيرة من اولاد الملوك وقد زالت نعمتي
كما تزول عن الرجال فلما ركبني الدين واحتجت الى بيع مسقط رأسي ورؤوس اهلي اشاروا علي
بالخروج الى البرامكة فخرجت من دمشق ومعي نيف وثلاثون امرأة وصبي وصبية وليس
معنا ما يباع ولا يوهب حتى دخلنا بغداد ونزلنا في بعض المساجد فدعوت بثويبات لي كنت اعددتها
لاستتر بها الناس فلبستها وخرجت وتركتهم جياعا لا شيء عندهم ودخلت شوارع بغداد اسأل
عن دور البرامكة فاذا انا بمسجد مزخرف وفيه مائة شيخ باحسن زي وزينة وعلى الباب
خادمان فطمعت في القوم وولجت المسجد وجلست بين ايديهم وانا اقدم واؤخر والعرق
يسيل مني لانها لم تكن صناعتي واذا بخادم قد اقبل فدعى القوم فقاموا وانا معهم فدخلوا دار
يحيى بن خالد فدخلت معهم واذا بيحيى جالس على دكة له وسط بستان فجلسنا وهو يعدنا
مائة وواحدا وبين يديه عشرة من ولده واذا بغلام امرد قد عذر خداه قد اقبل من بعض
المقاصير وبين يديه مائة خادم مفرطقون في وسط كل خادم منطقة من ذهب في كل مجمرة
قطعة عود كهيئة الفهر قد قرن بمثله من العنبر السلطاني فوضعوه بين يدي الغلام وجلس
الغلام الى جانب يحيى بن خالد ثم قال يحيى للقاضي تكلم وزوج بنتي عائشة من ابن عمي هذا
فخطب القاضي وزوجه وشهد اولئك الجماعة واقبلوا علينا بالنثار وبنادق المسك والعنبر
فالتقطت يا امير المؤمنين ملء كمي ونظرت فاذا نحن في المكان ما بين يحيى والمشايخ وولده
والغلام مائة واثنا عشر خادما مع كل خادم صينية من فضة عليها الف دينار فوضعوا بين
يدي كل رجل واحد منا صينية فرأيت المشايخ والقاضي يصبون الدنانير في اكمامهم ويجعلون
الصواني تحت اباطهم ويقوم الاول فالاول حتى بقيت وحدي بين يدي يحيى لا اجسر
على اخذ الصينية فغمزني الخادم فجسرت واخذتها وجعلت الذهب في كمي واخذت الصينية

في يدي

في يدي وقمت وجعلت التفت وارى مخافة ان امنع من الذهاب بها فبينما انا كذلك في صحن الدار
ويحيى يلحظني اذ قال للخادم ائتني بذلك الرجل فرددت اليه فامر بسكب الدنانير في الصينية
وما كان في كمي ثم امرني بالجلوس فجلست فقال لي ممن الرجل فقصصت عليه قصتي فقال للخادم
ائتني بولدي موسى فاتى به فقال يا بني هذا رجل غريب فخذه اليك واحفظه بنفسك وبنعمتك فقبض
موسى على يدي وادخلني الى دار من دوره فاكرمني غاية الاكرام وبت عنده يومي وليلتي في الذ
عيش واتم سرور فلما اصبح دعا باخيه العباس وقال ان الوزير امرني بالعطف على هذا الفتى
وقد علمت اشتغالي في دار امير المؤمنين فاقبضه اليك واكرمه ففعل ذلك واكرمني غاية
الاكرام فلما كان من الغد تسلمني اخوه احمد ثم لم ازل في ايدي القوم يتداولوني عشرة ايام لا اعرف
خبر عيالي وصبياني أفي الاحياء هم ام في الاموات فلما كان اليوم الحادي عشر جاءني خادم ومعه
جماعة من الخدم فقالوا لي قم فاخرج الى عيالك فقلت واويلاه سلبت الدنانير والصينية واخرج
الى عيالي على هذه الحالة انا لله وانا اليه راجعون فرفع الستر الاول والثاني والثالث والرابع فلما رفع
الخادم الستر الاخير قال لي مهما كان لك من الحوائج فارفعها الي فاني مأمور بقضاء جميع ما تأمرني
به فلما رفعت الستر رأيت حجرة كالشمس حسنا ونورا واستقبلني منها رائحة الند والعنبر والعود
ونفحات المسك واذا بصبياني وعيالي يتقلبون في الحرير والديباج وحمل الي الف الف درهم
وعشرة الاف دينار ومنشورين بضيعتين وتلك الصينية التي كنت اخذتها بما فيها من الدنانير
والبنادق المسك وانا يا امير المؤمنين مع البرامكة في دورهم ثلاث عشرة سنة لا يعلم الناس
أمن البرامكة انا ام رجل غريب اصطنعوني فلما جاءتهم البلية ونزلت بهم من امير المؤمنين الرشيد
ما نزل اجحفني عمرو بن مسعدة فلما اتي به قال له يا عمرو والزمني في هاتين الضيعتين من الخراج
ما لا يفي دخلهما به فلما تحامل علي الدهر كنت في اواخر الليل آتي خرابات القوم فاندبهم واذكر حسن
صنيعهم الي ووفاء لهم على احسانهم فقال المأمون علي بعمرو بن مسعدة فلما اتي به قال له يا عمرو
اتعرف هذا الرجل قال نعم يا امير المؤمنين هو من بعض صنائع البرامكة قال كم الزمته في ضيعته
قال كذا وكذا فقال له رد كل ما اديته منه في مدته ووقع له بهما ليكونا له ولعقبه من بعده قال فعلا
نحيب الرجل وبكاؤه فلما رأى امير المؤمنين كثرة بكائه قال يا هذا قد احسنا اليك فلم تبك قال

Copyright © King Saud University